التعريف بالموضوع:

بعد انهيار الإتحاد السوفياتي أعلنت الولايات المتحدة عن قيام نظام دولي جديد بزعامتها، وراحت تعمل على تكريس هيمنتها عليه انطلاقا من الهيمنة على أقاليمه الفرعية، لكن انهيار منافس كبير للولايات المتحدة بعد صراع دام قرابة أربعة عقود ونصف عقد، لا يعني بالضرورة انعدام أي فواعل أخرى قادرة على منافستها على المكانة التي تصبو إليها في عالم ما بعد الحرب الباردة، فمع تصاعد أهمية العامل الاقتصادي في قياس قوة فواعل النظام الدولي، وانتشار موجة التكتلات الإقليمية، برزت فواعل تملك مقومات وإمكانيات اقتصادية كبيرة تمكنها من احتلال مكانة دولية كما تمكنها من تطوير باقي القطاعات التي تشكل هي الأخرى عوامل القوة إلى جانب القطاع الاقتصادي، هنا برز الإتحاد الأوروبي كمنافس جاد للولايات المتحدة على مستوى النظام الدولي، وذلك خاصة بعد دخوله مرحلة جديدة من التكامل مع معاهدة "**مايستريخت**" (1992)، حيث توسع نطاق مصالحه ليمتد إلى أقاليم عديدة تحت مسوّغ تأمين تخوم الإتحاد من المتغيرات التي أفرزتها نهاية الحرب الباردة في بعض الأقاليم الفرعية، لاسيما وأن الإتحاد الأوروبي بعد خطوة "مايستريخت" صار أحد أقطاب النظام الدولي الثلاث إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

هذه الأهداف المتصادمة بين أقطاب دولية، تزايدت تجليّاتها في عالم ما بعد الحرب الباردة، وذلك بين قوة كبرى ذات طموح للهيمنة على النظام الدولي بمختلف متغيراته، وقوى تعمل على إيجاد مكانة دولية، نقلت التنافس إلى داخل المعسكر الغربي، بعدما كان التحالف بين وحداته السياسية هو الميزة الأساسية، لاسيما وأنه كان نتاج توافق المصالح والرؤى بين الدول الغربية لعقود طويلة من الزمن. وهنا تغيرت المسلمات التي كانت قائمة خلال حقبة الحرب الباردة، فلم يبقى المغرب العربي محمية أوروبية رغم الصّلات التاريخية والثقافية والاقتصادية التي ربطت الطرفين لزمن طويل، فصار النفوذ الأوروبي في المنطقة المغاربية مهددا بتزايد النشاطات والمشاريع الأمريكية فيها، وذلك لتثبت لحلفائها الأوروبيين بأن عهد حيازة أقاليم وإبقائها تابعة لها قد انقضى، فكان المغرب العربي أحد الأقاليم التي تشهد تنافسا أوروبياّ-أمريكياّ على ثرواتها وأسواقها، وعلى عقد علاقات امتيازية معها، فالإتحاد الأوروبي يستعمل آليات ووسائل ليبين لدول المغرب العربي أنه عوّض علاقات التبعية، بعلاقات "حسن الجوار" "Bon voisinage" وشراكة، والولايات المتحدة الأمريكية تبرهن لدول المنطقة أنها تعاملهم على أنهم شركاء متكافئون معها equal partners، بعد أن كانت علاقاتهما خلال الحرب الباردة في إطار ثنائيات منها ثنائية شمال/جنوب ومانح/مستقبل للمساعدات، من خلال مشاريع وعقود شراكة بين هاتين القوتين ودول المنطقة.

في الوقت نفسه كانت الدول المغاربية تبحث عن حلول لإشكالات وإختلالات شاملة، ورثتها عن السياسات التي تبنتها خلال الحرب الباردة، ما جعلها تبحث عن حلول في مشاريع الولايات المتحدة

الأمريكية والإتحاد الأوروبي ومقترحاتها الإصلاحية، والارتباط معها بمعاهدات واتفاقيات في مجالات متعددة.

أهميّة الموضوع:

ما يجعل الموضوع مهما للدراسة هو انتماؤنا للمنطقة موضوع الدراسة بالدرجة الأولي –المغرب العربي– والذي بدوره يشكل الإطار الإقليمي الذي ننتمي إليه، فعلى المستوى الأكاديمي توفر مثل هذه الدراسات موجها لصناع القرار من جهة، ونقطة انطلاق للتأصيل النظري في موضوع الأمن حسبما تقتضيه البيئة والخصوصية المغاربية من جهة أخرى.

لقد صيغت إشكالية هذه الدّراسة بناءا على هدف إدراك البيئة الأمنية المغاربية بكل حيثياتها، والتوصل إلى أن هناك مشاغل أمنية مشتركة بين دول المغرب العربي، ما يجعل منها "**مركبا أمنيا**" يربط بين وحداته قضايا أمنية مشتركة تحتم على دوله تنسيق سياساتها لمواجهة هذه التهديدات الأمنية، والتي تنبع في أغلبها من واقع التفكك الذي يميز المنطقة.

كما تهدف هذه الدراسة إلى اختبار فرضية مقتضاها أن الانعكاسات التي يفرزها التنافس الأوروبي الأمريكي على الساحة المغاربية تساهم في تعميق الإختلالات التي تعاني منها دول المغرب العربي رغم أن المشاريع الأوروبية والأمريكية في المنطقة تدّعي بإصلاح هذه الإختلالات، في حين أنها تتنافس للحصول على موارد المغرب العربي وثرواته بأقل التكاليف، وإيهام دوله بأن هذه السياسات والمشاريع موجهة لتنميته وتحديثه على كل المستويات، رغم أن مشاريعها مصاغة انطلاقا من تصوراتها واستراتيجياتها إزاء المنطقة، دون أدنى تنسيق مع دول المنطقة حول مضامين هذه المشاريع، لاسيما وأن دول المنطقة لا تنسق فيما بينها لدراسات آثار هذه المشاريع والأهداف الحقيقيّة منها.

كما تكمن أهمية الموضوع في قلة الدراسات من هذا النوع وذلك على مستوى مذكرات الماجستير المتوفرة حتى عام 2009، والقلة المتوفرة منها تتمحور إشكاليّاتها حول التنافس القائم بين الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الإتحاد الأوروبي، وكيف يقوي كل طرف من وضعه إزاء الطرف الآخر في المنافسة، وليس حول موقع دول المغرب العربي في هذا التنافس وانعكاسات هذا الأخير على أمن هذه الدول.

إضافة إلى ذلك يستمد هذا العمل أهميته من معالجته للعلاقة بين متغيري التنافس والأمن، وذلك على غرار الدراسات التي كانت موجودة من قبل والتي كانت تدرس العلاقة تنافس/نزاع، تنافس/حرب، وذلك في منطقة صارت تشكل أحد نقاط الإرتكاز في العالم، ومحورا لاهتمام العديد من القوى العالمية، لعل أهمها وأكثرها إهتماما بالمنطقة المغاربية؛ الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الإتحاد الأوروبي.

أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختيار هذا الموضوع ليست إلاّ انعكاسا لأهميّة الموضوع والأهداف من اختياره، فالباحث رغم تنوع اهتماماته إلا أنه في النهاية ابن بيئته، يتأثر تلقائيّا بالبيئة التي يعيشها، وينطلق في دراساته من

الظواهر التي يلاحظها فيها، وهو ما دفع إلى الاهتمام ومحاولة التخصص في هذا الحقل من الدراسات الذي يزاوج بين الدراسات الأمنية و إقليم المغرب العربي، وهذا خاصة وأن العديد من المحللين السياسيين يلاحظون أن هناك حضور دولي كبير ومنافس للتواجد الأوروبي في المغرب العربي، في زمن تصاعد أهمية العامل الاقتصادي وتصدره سلم محددات فاعلية الدول والتكتلات الإقليميّة.

كما أن السباق والتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الإتحاد الأوروبي على عقد علاقات مع الدول المغاربية، ليس رغبة بريئة في مساعدة هذه الدول على التنمية الاقتصادية، كما يعتقد العديد من المغاربة، وإنما رغبة في تحقيق مصالحهم وفي الحصول على أكبر وأهم قدر من الامتيازات في هذه الدول.

هذا الواقع على المستوى المغاربي يطرح العديد من الملاحظات والتساؤلات، لعلّ أهمّها يدور حول موقع دول المغرب العربي من هذا التنافس، أهي في موقع فعل أم رد فعل؟ حيث تتضمن إشكالية هذه الدراسة اختبار علاقة التأثير والتأثّر بين متغيرين هما:

*التنافس الأوروبي-الأمريكي و*الأمن الشامل المغاربي.

فكانت **الإشكالية** كالتالي:

-ما هي انعكاسات التنافس الأوروبي الأمريكي في المغرب العربي على الأمن الشامل لهذا الإقليم؟

التساؤلات الفرعية:

* ما هي المضامين الحديثة لمفهومي الأمن والتنافس؟ والتي يمكن أن تساعدنا على إدراك الظاهرة محل الدراسة ومن ثم تحليل الإشكالية المطروحة.

* ما هي أهم العوامل التي تحدد الإطار العام للتنافس الأوروبي الأمريكي في المغرب العربي؟ وما هي الرؤى الأمنية الجديدة لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد الأوروبي والتي على أساسها تصيغ استراتيجياتها في المنطقة ؟

* ما هي أبرز الانعكاسات التي يفرزها هذا التنافس على الأمن الشامل في المغرب العربي ؟ وهل يعد التنافس المتغير الأساسي في العلاقات الأورو-أمريكية ؟

*ما هي أهم الرهانات الأمنية التي يمكن أن يفرزها التنافس الأوروبي الأمريكي على الإقليم المغاربي؟

الفرضية المركزية: لتحليل الإشكال تطرح الفرضية التالية كموجه لمسار الدّراسة:

-إذا كان هناك تنافس أوروبي أمريكي في المغرب العربي فإن أمنه الشامل سيتأثر بالتوازنات البينية لهما.

الفرضيات الفرعية:

* إذا كان هناك تنافس بين قطبين في النظام الدولي على مستوى أحد أقاليمه الفرعية، فإن ذلك سينعكس على الأمن الشامل لهذا الإقليم.

* كلما كانت هناك أهداف ومصالح متصادمة بين فاعلين، فإن التنافس هو العامل المحدد في علاقاتهما.

* كلما كانت مواقف دول المغرب العربي مجرد ردود أفعال من دون تنسيق، كلما كانت انعكاسات التنافس الأوروبي الأمريكي سلبية أكثر منها إيجابية.

أدبيات الدراسة:

لقد تم التطرق لموضوع التنافس الأوروبي–الأمريكي في دراسات سابقة، تختلف باختلاف الهدف من الدراسة، فهناك دراسات تمحورت إشكاليّاتها أساسا حول التنافس الأوروبي الأمريكي، وتفكيك هذه الظاهرة للتعرف على الأهداف التي تدفعهما للتنافس، وانعكاسات هذا التنافس على كليهما وكيفية مواجهة كل طرف للآخر.

من بين هذه الدراسات العدد الخاص بالمغرب العربي الذي أعده كل من " **حميد برادة**" وهو صحفي مختص بشؤون الشرق الأوسط والمغرب العربي و "**دوروتي شميد**" "**Dorothée Schmid**" وهي باحثة بالمعهد الفرنسي للبحوث الدولية IFRI مختصة في شؤون الشرق الأوسط والمتوسط. أعد المحللان عددا في مجلة Questions internationales صدر في نوفمبر/ديسمبر 2004 حول التنافس الأوروبي الأمريكي، حيث قدمت "**دوروتي شميد**" من خلال دراستها للسياسات الأوروبية في المغرب العربي، مقترحات للإتحاد الأوروبي حول كيفية التعامل مع واقع تكثيف الولايات المتحدة الأمريكية لتواجدها في محميتها التقليدية، بينما اهتم "**حميد برادة**" بأهداف الولايات المتحدة الأمريكية من تكثيف تواجدها في المغرب العربي، ومواقف الشعوب المغاربية من السياسات الأمريكية في المغرب العربي.

هناك مقال آخر نشره الأستاذ " **عمر بغزوز**" تحت عنوان "التنافس الأمريكي الأوروبي في المغرب العربي"، وذلك ضمن عمل قامت به مجموعة من المحللين السياسيين والاقتصاديين، بعنوان "**الولايات المتحدة والمغرب**" (2004)، حيث تم تناول عدة متغيرات محددة للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول المغاربية، وقد تمحورت المقالة التي قدمها الأستاذ حول تساؤلات تدور حول محفزات التنافس الأوروبي الأمريكي والتحديات التي تواجهها ومظاهرها وكيف يمكن للدول المغاربية أن تسخرها لصالحها الفردي والجماعي، بما أنها الفواعل الأساسية والمعنية مباشرة بالمنافسة.

إضافة إلى بعض الرسائل المقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والتي تناولت مسألة التنافس الأوروبي الأمريكي كأحد جزئيات الدراسات التي قدموها، بحيث تناولوها في إطار العلاقات الأوروبية الأمريكية فيما بعد الحرب الباردة، وما هي تداعياتها على أحد الطرفين؟

المقاربة المنهجية:

نظرا لأن تحليل إشكالية الموضوع يقوم على الدراسات الأمنية فإن المنهج الرئيسي في إنجاز هذه الدراسة هو المنهج التفكيكي–التركيبي، حيث تجزأ ظاهرة التنافس الأوروبي–الأمريكي في المغرب العربي انطلاقا من المتغيرات المشكلة للظاهرة ككل، باستخدام منطق القطاعات (الإقتصادي، السياسي، العسكري...) والفواعل، ومستويات الدراسة (داخلية، خارجية/إقليمية)، ثم يعاد تركيب هذه المتغيرات بناءا

على الإشكالية والهدف من الدراسة. كما تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي كمنهج مساعد، بحيث يزودنا التاريخ بمعطيات نستغلها على سبيل البرهنة والتدليل، لتقديم بناءات لا خطاب وسرد.

إضافة إلى المنهجين السابقين، تم استغلال المنهج الكمي، والذي تكمن أهميته في تأكيد النتائج والأفكار التي يتم التطرق إليها خلال دراسة، من خلال استقراء مضمونها.

أما فيما يخص المفاهيم الأساسية للدراسة فكانت، الأمن الشامل المغاربي والتنافس، وتمحور الإطار النظري لهذه الدراسة حول تحليل الظاهرة الأمنية في إطار الفرضيات المركزية لكل من المنظور الواقعي والليبيرالي وكذا النقدي.

ملاحظات منهجية:

قبل الشروع في معالجة الموضوع لابد من توضيح بعض الأفكار، وضبط المقصود منها، حتى لا يترك مجال للتأويل أو سوء الفهم، ومن بين ما يستوجب الضبط، المقصود من الإتحاد الأوروبي والذي لا يعني أن لكل الدول الأعضاء في هذا الكيان اهتمامات في منطقة المغرب العربي، ذلك أن الإتحاد الأوروبي ككيان موحد يفتقر لتصور أمني مشترك، و لمواقف موحدة تجاه العديد من القضايا الدولية، فهناك مجموعة من الدول الأوروبية تعتقد أن شرق أوروبا هي الأولى بالاهتمام كونها مصدر تهديد أمني واقع على تماس مباشر مع حدود الإتحاد الأوروبي، بينما تتبنى مجموعة أخرى من الدول الأوروبية المنظور الأمني الأمريكي، فيما تركز مجموعة ثالثة من الدول الأوروبية على منطقة جنوب المتوسط كمصدر للتهديدات الأمنية، وتعتقد أن هذه المنطقة أولى بالاهتمام من مناطق أخرى لأنها فضلا عن كونها أحد مصادر التهديدات الأمنية، هي معبر لتهديدات مصدرها القارة الإفريقية، هذه المجموعة من الدول هي دول جنوب أوروبا، لذا فالمقصود بالإتحاد الأوروبي من خلال هذه الدراسة: "مجموعة الدول الأوروبية المجاورة مباشرة للمغرب العربي وهي دول جنوب أوربا".

خطة الموضوع:

جاءت خطة الدراسة في ثلاثة فصول، خصّص أول فصل منها للتعريف بالأدوات المنهجية للدراســـة، حيث تم من خلاله التأصيل النظري والمفاهيمي لها، فقد تم تناول كل من مفهومي الأمن والتنافس ثم وضع مفهوم إجرائي لكلاهما، يتلاءم والإشكالية المطروحة، والتعرض لعلاقة متغير التنافس بالأمن، أما فيما يخص الإطار النظـــري للدراسة فقد تم تناول الطـــروحات النظرية الحديثة لمفهوم الأمـــن، وتحليل المنظورات الأساسية في العلاقات الدولية للظاهرة الأمنية.

في الفصل الثاني من الدراسة تمت معالجة أهم العوامل التي تحدد الإطار العام الذي يدور فيه التنافس الأوروبي الأمريكي في المنطقة المغاربية، ففي أول جزء منه تم التطرق لمكونات البيئة الأمنية المغاربية

من الأهمية الإستراتيجية للمنطقة والتي جعلتها محط أطماع دولية، إلى أوضاع دول المنطقة في مختلف المجالات، وكذا العلاقات البينية للدول المغاربية والتي تتراوح بين التوتر والتعاون.

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل، تم تنـــاول السياسات الأوروبية والأمريكية في المغـــرب العربـــي، والبدايات التاريخية الأولى لنسج علاقات بين بعض الدول الأوروبية والمغرب العربي من جهة، وبين الولايات المتحدة الأمريكية والمغرب العربي من جهة أخرى.

المبحث الثالث من هذا الفصل تضمن الإستراتيجيات الأمريكية والأوروبية تجاه المغرب العربي، من خلال التطرق لأهداف وآليات كل منهما في المنطقة، في إطار المقاربات الأمنية الجديدة لهما.

آخر فصل من الدراسة، خصّص لرصد وتحليل أهم إفرازات تنافس الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي في المغرب العربي، على مستوى القضايا المحلية للدول المغاربية من جهة، والقضايا المشتركة بين الدول المغاربية من جهة أخرى، فعلى المستوى الداخلي تم التطرق للمجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري على سبيل المثال لا الحصر وذلك لصعوبة تناول كل متغيرات الموضوع، أما على المستوى الإقليمي فقد تمّ تناول قضية التكامل المغاربي الجهوي وقضية الصحراء الغربية وكيف أثّرت سياسات القوتين الأوروبية والأمريكية التنافسية على هذه القضايا. لنخلص إلى خاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات المتوصّل إليها.